تشكيك المعتزلة وإنكارهم للكثير من الأحاديث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وبعد...

فهذا عرض مختصر لآراء المعتزلة في تشكيكهم وإنكارهم للكثير من الأحاديث، والرد عليهم.

*****

أولاً: آراء المعتزلة إجمالاً (للعدل: فالمعتزلةُ فرقٌ متعددة، قد يرى بعضهم، أو بعضُ رؤوسِهم، ما لا يوافقه عليه غيره من أفرادهم):

١/ تقديمهم العقل وجعله حاكماً على نصوص الشرع، فكل حديث مهما بلغت درجته لا يتفق مع عقولهم أوَّلوه، أو شكُّوا في صحته، أو ردُّوه.

ويقرر ذلك القاضي عبد الجبار[١]، فيقول: اعلم أن الدلالة أربعة: حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع.

ومن الأمثلة على ذلك: ما أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه[٢] -في ترجمة عمرو بن عبيد-: أَخْبَرَنَا الحسن بْن أبي بكر، ومحمد بْن عمر النرسي، قالا: أَخْبَرَنَا مُحَمَّد بْن عبد الله الشافعي، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن غالب، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو سلمة موسى بْن إسماعيل، قَالَ: حَدَّثَنَا بكر بْن حمران، قَالَ: سمعت عمرو بْن عبيد، يقول: لا يعفى عَنِ اللص دون السلطان. قَالَ: فحدثته بحديث صفوان بْن أمية، فقال لي: أتحلف بالله الذي لا إله إلا هو أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قاله؟ فقلت: تحلف بالله الذي لا إله إلا هو أن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقله؟ قَالَ: فحلف، قَالَ: فأتيت ابْن عون فحدثته، فلما عظمت الحلقة قَالَ: يا بكر حدث

---

[١] في شرح الأصول الخمسة ص٨٨.

[٢] ١٢/١٧٤.

القوم. ا.هـ. ولعله يقصد الحديث الذي أخرجه أبو داود (ك/ الحدود ١٣٨/٤): [فهلا كان هذا قبل أن تأتيني به].

وقال الزمخشري في الكشاف[١] -في تفسير سورة آل عمران-: وما يروى من الحديث "ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد فيستهلّ صارخاً من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها" فالله أعلم بصحته. فإن صح فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها، فإنهما كانا معصومين، وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين﴾[٢]، واستهلاله صارخاً من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه، كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول: هذا ممن أغويه، ....، وأما حقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا، ولو سلط إبليس على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه. ا.هـ.

مع أن الحديث في الصحيحين، أخرجه البخاري (ك/ تفسير القرآن ٣٤/٦).

٢/ ردهم نصوصاً متفرقة أو تأويلها، أو التشكيك في صحتها، أو الاستدلال بها على غير وجهها، لمخالفتهم إياها في أصول اعتقادهم الخمسة[٣].

أولاً: قرر القاضي عبد الجبار أن هذه الأصول الخمسة طريقها العلم، وأخبار الآحاد لا توجب القطع، فلا يمكن الاحتجاج بها[٤] -زعموا-، وبما أن أكثر السنة منقول بطريق الآحاد فهم يردونها لهذا السبب، ومما يُظهر هذا ندرةُ استدلالهم بالأحاديث.

ثانياً: أمثلة لموقفهم من الأحاديث التي يخالفونها في أصولهم:

---

[١] ٣٥٦/١.

[٢] سورة ص: ٨٢-٨٣.

[٣] وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالعروف والنهي عن المنكر ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار.

[٤] كرر هذا في عدة مواضع من شرحه الأصول الخمسة، منها: ص٤٨١، ص٦٧٢، ص٧٦٩.

في أصل التوحيد عندهم: قال القاضي عبد الجبار [1] -في معرض حديثه عن نفي الرؤية-: ومما يتعلقون به -يقصد المثبتين- أخباراً مروية عن النبي ﷺ وأكثرها يتضمن الخبر والتشبيه، فيجب القطع على أنه ﷺ لم يقله، وإن قال فإنه قاله حكاية عن قوم، والراوي حذف الحكاية ونقل الخبر، ومن جملتها وهو أشف ما يتعلقون به ما يروى عن النبي ﷺ أنه قال: "سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر". ولنا في الجواب عن هذا طرق ثلاثة: أحدها: هو أن هذا الخبر يتضمن الجبر والتشبيه، لأنا لا نرى القمر إلا مدوراً عالياً منوراً، ومعلوم أنه لا يجوز أن يرى القديم تعالى على هذا الحد، فيجب أن نقطع على أنه كذب على النبي ﷺ وأنه لم يقله، وإن قاله فإنه قاله حكاية عن قوم كما ذكرنا. -ثم ذكر في الطريقة الثانية طعنه في قيس بن أبي حازم راوي الحديث عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ثم في الطريقة الثالثة قال وإن سلمنا فإنه خبر آحاد لا يقتضي عندهم العلم، وذكر معارضته بأحاديث أخرى تنفي الرؤية كحديث أبي ذر: (نور هو. أنى أراه!)- ثم قال: ثم **نتأوله** على وجه يوافق دلالة العقل فنقول: المراد به سترون ربكم يوم القيامة، أي ستعلمون ربكم يوم القيامة كما تعلمون القمر ليلة البدر. ا.هـ.

مع أن الحديث في الصحيحين، أخرجه البخاري (ك/ مواقيت الصلاة ١/١١٥)، ومسلم (ك/ المساجد ومواضع الصلاة، ١/٤٣٩).

وأيضاً قال الزمخشري في الكشاف [2] -في تفسير سورة يونس-: وزعمت المشبهة والمجبرة -يقصد أهل السنة- أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى، وجاءت بحديث مرقوع: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه،..." ا.هـ.

مع أن الحديث في صحيح مسلم (ك/ الإيمان ١/١٦٣).

---

[1] في شرح الأصول الخمسة ٢٦٨.

[2] ٢/٣٤٢.

وفي أصل العدل: أورد القاضي عبد الجبار حديث الفطرة (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ)[1]، ليرد به على ما يسميهم المجبرة بزعمه، وهم أهل السنة، **فاستدلَّ به** على ما يوافق مذهبَهم الباطلَ من أن أفعال العباد مخلوقة لهم وأن الله لم يخلقها، فقال: فيه أن أبويه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه، ومن مذهبكم أنه تعالى المتولي كل ذلك، وأنه على الحقيقة يهوّده ويمجسه وينصره[2].

وفي أصل الوعد والوعيد: أورد القاضي عبد الجبار الحديث: "فخرج من النار قوم بعد ما امتحشوا وصاروا فحماً وحمماً" على أنه مما يستدل به أهل السنة على عدم تخليد العصاة في النار، ثم قال: أن هذا الخبر لم تثبت صحته، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد، وخبر الواحد مما لا يوجب القطع، ومسألتنا طريقها العلم، فلا يمكن الاحتجاج به، -ثم قال:- إنا نتأوَّل هذا الخبر الذي أورده على وجه يوافق الأدلة، فنقول: إن المراد: يخرج من النار، أي يخرج من عمل أهل النار قوم[3]. ا.هـ.

مع أن الحديث أصله في الصحيحين، أخرجه البخاري (ك/ الرقاق، ٨/١١٥)، ومسلم (ك/ الإيمان، ١/١٦٣).

٣/ كذبهم في بعض الأحاديث لتوافق أهواءهم.

ومن ذلك ما أورده الحاكم في المدخل[4]، قال: سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي يقول سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول سمعت المحاملي يقول سمعت أبا العيناء يقول أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه الا ابن شيبة العلوي فإنه

---

[1] الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري في (ك/ الجنائز، ب/ ما قيل في أولاد المشركين، ح١٣٨٥، ج٢، ص١٠٠)، ومسلم في (ك/ القدر، ح٢٢، ج٤، ص٢٠٤٧).

[2] شرح الأصول الخمسة ٤٨٢.

[3] شرح الأصول الخمسة ٦٧٢-٦٧٣.

[4] ص٥٣.

قال لا يشبه آخر الحديث أوله فأبى أن يقبله. قال إسماعيل وكان أبو العيناء يحدث بهذا الحديث بعد ما تاب.

وقال الخطيب في تاريخه[1]: وأَخْبَرَنا عبد الرحمن الحربي، قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن سلمان، قَالَ: حَدَّثَنَا عبد اللَّه بْن أَحْمَد، قَالَ: حَدَّثَنِي أبي، قَالَ: حَدَّثَنَا سليمان بْن حرب، قَالَ: حَدَّثَنَا حماد بْن زيد، قَالَ: قيل لأيوب: إن عمرا روى عَنِ الحسن، قَالَ: لا يجلد السكران من النبيذ. فقال: كذب، أنا سمعت الحسن، يقول: يجلد السكران من النبيذ.

*****

ثانياً: الرد عليهم:

أ. في تقديم العقل على النقل:

١/ أن العقل آلة للتمييز بين الصحيح والباطل، ولم يكلف الله المعرفة به إلا من له عقل[2]، فالله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]، لكن هذا العقل تابع للشرع، وقد وجّه الله خطابه في كثير من آيات الأحكام لمن يعقل، ومن ذلك: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[4].

٢/ أن العقل لفهم النص لا حاكمية له عليه، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾[5]، فالعطف بالرسول ﷺ هنا يُدخل فيه ما ثبت عنه من الأحاديث الشريفة.

---

[1] ١٢/١٧٧.

[2] الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار ١/١١٦.

[3] سورة يوسف ٢.

[4] سورة الأنعام ١٥١.

[5] سورة الأحزاب ٣٦.

٣/ أن الله تعالى يقول: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[١]، ولم يقل بعد العقل[٢]، فلو كان العقل مستقلاً بالعلم بالله وبما يجب له سبحانه، وبالغيب، لما كان لبعث الرسل فائدة، ولقامت الحجة بمجرد العقل.

٤/ أن الصحابة رضي الله عنهم وهم خير الأمة بعد نبيهاﷺ، قدموا النص على آرائهم، وفي هذا قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ، كَانَ بَاطِنُ الْقَدَمَيْنِ أَوْلَى وَأَحَقَّ بِالْمَسْحِ مِنْ ظَاهِرِهُمَا، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّﷺ مَسَحَ ظَاهِرِهُمَا[٣].

٥/ لو سلمنا جدلاً أن العقل حاكم على النصِّ، فإن من المعلوم بداهةً؛ أن العقولَ والآراء متفاوتةٌ بالنسبة للعقول المتعددة، ومتغيرةٌ بالنسبة للعقل الواحد، فأيُّ عقلٍ له الحاكميةُ، وتقوم به الحجةُ؟!.

*****

ب. في موقفهم من الأحاديث التي يخالفونها في تقرير أصولهم:

١/ في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٤]، دلالةٌ صريحة في وجوب الأخذ بكل ما صحَّ عن النبيﷺ، ولو كان خبر آحاد.

٢/ أن التشكيك في الأحاديث التي خالفوها لأجل أصولهم وآرائهم، يستلزم تناقضهم، فهم يقبلون من الأحاديث ما لا يخالفونه.

٣/ أن في تأويلاتهم للأحاديث رداً عليهم، ومن ذلك لما أوَّلوا حديث الرؤية بالعلم؛ فهل المؤمن لا يعلم ربه إلا يوم القيامة! كما أن ما فرّوا منه في تشبيه الرؤية يقع لهم في تشبيه العلم.

---

[١] سورة النساء ١٦٥.

[٢] الانتصار ١/١١٩.

[٣] مصنف ابن أبي شيبة ك/ الطهارات ١/١٦٥. وهو عند الإمام أحمد بنحوه، وغيرهما، ورواته ثقات.

[٤] سورة الحشر ٧.

وفي تأويلهم لمن يخرج من النار أنه يخرج من عمل أهل النار، يقال وأين تتمة الحديث "بعد ما امتحشوا وصاروا فحماً وحمماً"؟! ما تأويلكم لها؟

*****

ج. في كذبهم في الحديث:

١/ أنها مخالفة صريحة لما تواتر عن النبي ﷺ من تحريم الكذب عليه والوعيد في ذلك، قال: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)[١]، وهذا فيه تناقض منهم، لإقرار عامتهم قبولَ الحديث المتواتر مثل هذا، ومع ذلك خالفوه.

٢/ أن كذبهم في الحديث ليدللوا على صحة ما يرونه[٢]، يستلزم تناقضهم؛ لأنهم ردوا وشككوا في أحاديث صحيحة ثابتة، خالفوها.

****

ثالثاً: مراجع مهمة في الرد على المعتزلة:

١/ الرسالة للشافعي، خاصة في الاحتجاج بخبر الآحاد.

٢/ مقدمة سنن ابن ماجه.

٣/ مقدمة سنن الدارمي.

٤/ كتاب السنة في سنن أبي داود.

٥/ تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة.

٦/ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٧/ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

---

[١] صحيح البخاري ك/ العلم ١/٣٣.

[٢] ينظر الحاشية ٥ في ص١.

٨/ الصواعق المرسلة، لابن القيم.

٩/ موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، د. سليمان الغصن.

****

هذا والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

****

إشراف/ د. راجح الزيد

إعداد/ الطالبة ولاء بنت محمد التويجري